الفصل الأول

الدراسة التاريخية

obeikandl.com

obeikandl.com

علم اللغة التاريخي والمقارن

إذا كان علم اللغة الوصفي يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن Static، حيث توصف فيه اللغة على الوجه الذي تكون عليه المادة اللغوية، في فترة زمنية محددة، ليس بالضرورة أن تكون تلك الفترة الحالية المعاصرة.

فإن علم اللغة التاريخي يتميز بأنه علم ديناميكي Dynamic ذو فاعلية دائمة، حيث إنه يدرس اللغة من خلال ما يطرأ عليها من تغييرات مختلفة. ومن المعلوم أن تغييرات اللغة عبر الزمان والمكان خاصة فطرية في داخل اللغة وفي كل اللغات"[1]. وأن هذه التغييرات تحدث –أيضا– في جميع الاتجاهات والمستويات اللغوية (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) ولكنها لا تحدث على مستوى واحد، ولا طبقًا لنظام معين ثابت[2]. وثمة عوامل تاريخية مؤثرة تصاحب هذه التغييرات. وينبغي أن نؤكد الصلة القوية بين علم اللغة الوصفي وعلم اللغة التاريخي، وأن الفصل بينهما أمر عسير، وبخاصة في مجالات التطبيقات والتحليلات، فإن كثيرًا من مدلولات المصطلحات:

اللغة المعيارية Standard Language، واللهجة: Dialect، ولهجة الطبقات الدنيا غير المكتوبة Patois واللغة الخاصة Jargon والعامية Slang، كلها يدخل في ميدان الدراستين الوصفية والتاريخية وكذلك في ميدان علم اللغة الجغرافي[3].

فاللغة المعيارية Standard Language هي اللغة المشتركة الرسمية الفصيحة، لغة الطبقة المثقفة في الأمم، الذين نالوا قسطًا من التعليم الراقي والمتميز، هذه اللغة المعيارية تكون – غالبًا – في أول أمرها لهجة محلية، تحظى بعوامل وظروف وملابسات تعلي من شأنها، وترقى بها، فتنال قدرًا من التمجيد والتقدير، وتصبح هي اللغة الرسمية لسبب من هذه الظروف والعوامل السالفة كما هو الحال فيما حدث للهجة قريش، التي تهيأت لها ظروف دينية، حيث الكعبة المشرفة التي كرم الله مكة المكرمة بوجودها في أرضها المقدسة، وكرم قبيلة قريش بالإقامة في رحابها الكريم،

---

(1) أسس علم اللغة ١٣٧

(2) انظر: أسس علم اللغة ١٣٧

(3) أسس علم اللغة ١٣٧– ١٣٨

حيث تفد وفود الحجيج من شتى أنحاء الجزيرة العربية، وتتلقى أسماع أهل قريش للغات العرب ولهجاتها، وينتقون في عقولهم أفضل ما تسمع آذانهم، فيضيف ذلك إلى ثروتهم اللهجية نموذجًا آخر جديدًا وافدًا.

كما تهيأت لقريش ظروف أخرى اقتصادية، لكي يضيفوا إلى لغتهم ولهجتهم الجديد الجيد من أفضل ما تتلقاه أسماعهم في أثناء رحلتي الشتاء والصيف إلى الشام شمالاً، وإلى اليمن جنوباً، وكذا الظروف والعوامل السياسية التي اكتسبوها من زعامتهم للعرب ورياستهم للجزيرة العربية، فجعل هذا العامل الأخير من لهجتهم اللغة المثالية، التي ترتضيها القبائل العربية لما تشتمل عليه من خصائص لغوية محكمة ومقبولة؛ لأنها تمثل النموذج الأمثل لجميع اللهجات العربية، لاشتمالها على أجود ما في هذه اللهجات من خصائص. ومن تلك الظروف والعوامل التي تتهيأ للهجة لأن تصبح لغة مشتركة (معيارية) أن تكون لهجة منطقة من المناطق اتخذت مقراً سياسياً للحكم، مثل: باريس باتخاذها عاصمة لفرنسا، أو أن تكون لهجة مجموعة لهم سيطرة عسكرية مثل: القشتالية التي أصبحت اللغة الأسبانية، أو أن تكون لهجة منطقة لها زعامة أدبية مثل: التوسكانية، التي أصبحت اللغة الإيطالية[1].

وأما اللهجات Dialects، التي تعدُّ مستوى محليًا للكلام، فإنها تبعد إلى درجة كبيرة أو صغيرة عن المستوي المعياري، ولكن التعرف عليها يتم بالرجوع إلى الأصول التاريخية.

فعلم اللغة التاريخي إذن يقوم بدراسة اللغة دراسة طولية، بمعنى أنه يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وأماكن متعددة، ليرى ما أصابها من التطور[2] بهدف التوصل إلى عوامل التطور وقواعده المختلفة. ومن ثم فإن تعليل الظواهر المختلفة التي تطرأ على أية لغة، لا يمكن التعرف على أسبابها وعواملها، إذا لم تعالج في ضوء ما يطرأ عليها عبر فتراتها التاريخية المتباعدة. حيث يمكننا الوقوف على صور التطور وأحواله عبر الأجيال المتلاحقة، وبعدها يمكننا معرفة الحقائق الكائنة وراء حدوث ظاهرة أو ظواهر لغوية معينة.

---

(1) انظر: أسس علم اللغة ١٣٨

(2) المدخل إلى علم اللغة ١٩٦ د

إن مجال عمل علم اللغة التاريخي يتسع لفترات وأحقاب زمنية للغة من اللغات أو لظاهرة أو ظواهر لغوية، تمتد في أعماق التاريخ، إلى أن نصل إلى أقدم حقبة تاريخية متاحة لنا، نمتلك منها وثائق أو نصوصًا أو نقوشًا مسجلة أو منقوشة.

إن دراسة الوصف الصوتي للأصوات العربية عند العلماء العرب القدامى عند كل من الخليل بن أحمد وسيبويه وغيرهم من العلماء العرب، والدراسات الصوتية اللاحقة للأصوات عبر القرون الماضية، وفي العصر الحديث، يعدُّ هذا التتابع في الدراسة من صميم الدراسات التاريخية للأصوات العربية. وكذا الحال للدراسات الصرفية ونظام الجملة والمفردات عند العلماء العرب القدامى وعند من جاء بعدهم من العلماء حتى العصر الحديث.

ويذكر ماريو باى أن الصلة وثيقة بين المنهج الوصفي والمنهج التاريخي، وأنه من الصعب الفصل بين الفرعين في مجال التطبيق العملي، لأن كل المصطلحات، التي استعملت تحت العنوان الوصفي، قابلة من الناحية العملية للاستعمال مع الفرع التاريخي[1]. ويذكر أيضا أنه "على الرغم من أسبقية علم اللغة التاريخي. في ميدان البحث اللغوي، ومنذ التقدم المطرد، الذي أمكن تحقيقه خلال القرنين الماضيين (الثامن عشر والتاسع عشر) فما زال هناك جهود ضخمة يمكن بذلها، حتى بالنسبة لتلك اللغات التي لاقت اهتمامًا كبيرًا، فإن هناك اكتشافات ضخمة لكتابات مسجلة، ما تزال يتوصل إليها، ويجب كلما اكتشف شيء من ذلك، أن يعاد النظر في النتائج المقارنة السابقة، التي كان بعضها فرضيًا، ويدخل عليها من التعديلات ما هو ضروري بعد الاستفادة من تلك الشواهد الحديثة"[2].

(1) أسس علم اللغة ١٣٧
(2) أسس علم اللغة ١٧٦

أولاً: التغير التاريخي على المستوى الصوتي :

ويقدم لنا ماريو باى مجموعة من أنواع التحولات التاريخية على مستوى الأصوات والفونيمات، ويرى أنه في مجال التحول التاريخي للغة، ليس من الممكن كلية – وإن كان محتملا – أن يغير النموذج الفونيمي أحيانًا بقوة، وما تزال قضية ما إذا كانت التغيرات تحدث تدريجيًا، وأنه لا علاقة وثيقة لكل واحد منها بالآخر. أو أنها–كما يحلو لبعض اللغويين التركيبيين أن يقول–تحدث لتحقيق نوع من الانسجام في الكلام ككل، وللمحافظة على شيء من التماثل والتناسق" [1].

ومن أمثلة التحول الفونيمي، مانراه في التحول الفونيمي في النظام الهجائي في اللغة الإنجليزية المعاصرة، فالتجمع الفونيمي الموجود في الصوت الطبقي الاحتكاكي: gh الموجود في مثل: Night، وقد اختفى في النطق الحديث، ويدلنا ذلك على أن التجمعات الصوتية المسموح بها قد تغيرت. وأن مثل: Gnaw، Know يدل على أن المتكلم الإنجليزي كان في يوم ما يسمح بتجمع صوتي مثل: gn، kn، في الموقع الأمامي، وهو ما لا يمكن للإنجليزي الحديث أن ينطق به بسهولة[2].

كما يذكر أن من الظواهر الصوتية التي تدخل في مجال علم اللغة التاريخي، ما يحدث لأصوات العلل (الحركات) من تغيرات سواء في كيفيتها أو في كميتها مما يسمى: كيفية العلة، Vowel Quality .

وما يسمى: كمية العلة: Vowel Quantity وكذا الظواهر المتعلقة بتشكيل الصوت مثل: الانتقال من تأثير النغمة (اللحن) إلى تأثير النبر، أو انتقال النبر من مقطع إلى مقطع آخر في الكلمة، ويقدم لذلك أمثلة تؤكد تفسير ذلك في ضوء علم اللغة التاريخي، من خلال ما يحدث من تغييرات وتحولات من اللغات اللاتينية إلى الرومانسية، مثل: تغير صوت العلة المنبور في الكلمة: Tenet،التي صارت في الفرنسية: TÍent وفي الإيطالية والأسبانية: TÍene، وأن هذا التحول يرجع إلى تأثير النبر الطارئ القوي. كما يمكن تفسير المثال السابق في ضوء التحويل والتغيير التاريخي

---

(1) أسس علم اللغة ١٤٢

(2) انظر: أسس علم اللغة ١٤٢

لأصوات العلة البسيطة Monophthong في الكلمة اللاتينية Tenet حيث تحولت العلة البسيطة e إلى علة مزدوجة Diphthongization وهي ie كما هو الحال في Tient في الإيطالية وtiene في الأسبانية من اللغات الرومانسية[1].

التغيرات التاريخية للأصوات

وهي التغييرات التي تحدث في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتًا آخر[2]؛ وفيما يلي نقدم بعض الأمثلة لهذا التغيير:

١- تغيُّر الباء المهموسة p إلى فاء :

أ- تغيَّرت الباء المهموسة (p) في اللغة السامية وتحولت إلى فاء (ف) في اللغة السامية الجنوبية، وهي العربية والحبشية مع بقاء الأصل (p) الباء المهموسة، كما هي في اللغات السامية الشمالية وهي العبرية والآرامية والأكادية، مثال ذلك كلمة: pōl في العبرية، التي صارت في العربية: "فول" وفي الحبشية fal بالفاء.

ب- كلمة: " فو" العربية بمعنى " فم" بالتمييم، حيث تغيرت وتحولت إلى الباء المهموسة (p) في اللغات السامية، مثل: pē في العبرية و pūmā في الآرامية و pū في الأكادية، إلى صوت الفاء في العربية.

جـ- كلمة: " فِلْج" أو "فَلَج" في العربية، بمعنى: الشق، وكلمة: falag في الحبشية، بمعنى جدول، تغيرت وتحولت فيهما الباء المهموسة (p) في اللغات السامية، كما في: pālag في العبرية، plāg في الآرامية ومعناها: شق، وكذلك palagu في الأكادية بمعنى: قناة، تغيرت وتحولت الباء المهموسة منها جميعًا إلى صوت: الفاء في اللغتين العربية والحبشية[3].

٢- تطور صوت الجيم القاهري (g) إلى الجيم الفصحى (ǧ).

فقد تحول صوت الجيم الفصيح (ǧ) عن الجيم القاهرية g، حيث تحول نطقه من منطقة الحنك الرخو (الطبق) أي أقصى الحنك، إلى منطقة الحنك الصلب (الغار) في

---

(١) انظر: أسس علم اللغة ١٤٣

(٢) التطور اللغوي ١٧

(٣) انظر: التطور اللغوي ١٧- ١٨

وسط الحنك، كما تحول في صفة هوائه من كونه صوتًا انفجاريًّا إلى كونه صوتًا مركبًا يتألف من صوت الدال المغورة المجهورة، وينتهي بصوت الشين المجهورة، وقد حدثت تغييرات تاريخية لصوت الجيم الفصيح فيما بعد في اللهجات الحديثة إلى صوت الدال في نطق أهل الصعيد، كما في قولهم: دردا في كلمة: جرجا في حين تحول إلى J الإنجليزية: أي إلى صوت الشين المجهورة. عند أهل الشام وفلسطين في لهجات الخطاب المعاصرة.

وقد حدث هذا التحول في صوت الجيم الفصيح المركب g قديمًا في اللهجات العربية القديمة، حيث كان الصقالبة ينطقونه دالا، فقد ذكر ابن مكي الصقلي أن الناس في عصره (٥٠١ هـ) كانوا يقولون: دشيش في: جشيش[١]. وذكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) أن عوام الأندلس، كانوا ينطقون الجيم الفصيحة دالا[٢]، وكذلك ذكر ابن هشام اللخمي (٥٧٧هـ) أن الناس كانوا يقولون: تدشيت في: تجشأت[٣].

وقد حدث هذا التغيير والتحول بانحلال الصوت المركب من صوت الجيم g إلى صوت الشين المجهورة، ولكن بعد أن ضاع منها الجهر، فتحولت إلى صوت الشين المهموسة في العربية الأصلية. فقد روي عن قبيلة تميم أنهم يقولون في المثل: شر ما أشاءك إلى مخه عرقوب[٤] بدلا من: أجاءك.

ومن ذلك قول زهير بن ذؤيب العدوي[٥]: (الطويل)

فيالَ تميم صابروا قد أشئتم إليه وكونوا كالمحربة البُسل

وكقول الراجز[٦]: (الرجز)

إذا ذاك إذ حبل الوصال مُدْمش

أي: قد أجئتم بمعنى: ألجئتم في البيت الأول، ومدمج في الثاني.

---

(١) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٢٠٦
(٢) انظر: لحن العوام، للزبيدي ٢٠
(٣) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٢٤١
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء، ١٦٤/٢
(٥) الصحاح، للجوهري (شيا) ٥٩/١
(٦) سر صناعة الإعراب ٢١٥/١

وقد روى مثل ذلك أبو عمرو الشيباني بقوله: الإشاءة: الاضطرار، وأهل الحجاز يقولون: الإجاءة، يقول: ما أجاءك كذا وكذا؟ أي: ما اضطرك إليه، وقال الله عز وجل: ﴿**فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾ (مريم: ٢٣/١٩).

وقال الأخطل[١]: (الوافر)

سَتَقذِفُ وائِلٌ حولي جَميعًا وَأطعن إِن أُشئتَ إِلى الطِعانِ

وقد حدث تغير تاريخي آخر لصوت الجيم في اللهجات العربية، وذلك بتحولها إلى صوت الياء، وذلك في لهجة تميم، فقد روي أن تميمًا يقولون في: الصهريج، وفي جمعه: الصهاريج يقولون: الصهري والصهاري[٢]، كما روي أبو زيد أن بعض تميم تقول في: شجرة، شيرة[٣]. وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم[٤]: (الطويل)

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات

أي: شجرات.

وقلب الجيم الفصيحة ياء من الظواهر الصوتية الشائعة في لهجات الخطاب المعاصرة في بلدان الخليج العربي بعامة والعراق بخاصة.

٣- التغير التاريخي في صوت القاف:

لقد أصيب صوت القاف بتغيرات صوتية تاريخية كثيرة في صفاته فإنه يوصف طبقًا للغات السامية على أنه صوت شديد مهموس، كما هو الحال في قراءة القرآن الكريم، وكما هو في اللغة العبرية في مثل كلمة: kōl، بمعنى: صوت، وفي الآرامية في مثل كلمة: ḳdām بمعنى قُدّام، وفي الحبشية: ḳōma بمعنى: قام، وفي الأكادية: paḳad بمعنى بحث.

وقد تغيرت صفة الهمس في صوت القاف عند العرب إلى صفة الجهر، كما ورد في وصف العلماء العرب أمثال: الخليل بن أحمد وسيبويه، وابن جني. في اللغة العربية الفصحى![٥].

---

(١) الجيم، لأبي عمرو الشيباني ٧٠/١ وديوان الأخطل ١٩٢

(٢) القلب والإبدال، لابن السكيت ٢٩ والإبدال لأبي الطيب ٢٦١/١

(٣) القلب والإبدال لابن السكيت ٢٩

(٤) الإبدال، لأبي الطيب ١/ ٢٦١

(٥) انظر: العين٦٥/١وما بعدها والكتاب٤٠٥/٢ وما بعدها وسر صناعة الإعراب ٥٢/١ وما بعدها.

كذلك تحولت القاف في نطق اللهجات الحديثة إلى صفات صوتية أخرى، كما هو الحال فيما حدث لها من تغير إلى صوت الهمزة في مصر والشام، وقد حدث مثل هذا التغير قديمًا فيما رواه أبو الطيب في قوله: الأفز، في كلمة: القفز[1].

أما في السودان وجنوب العراق فقد تحول الصوت على ألسنة المتكلمين المعاصرين إلى صوت الغين، حيث يقولون في كلمة: الاستقلال الاستغلال، وفي العامية المصرية يقولون: يغدر بمعني: يقدر. وكلمة: زغزغ، بمعنى تحريك اليد في خاصرة الطفل، حيث تعني: زقزق، التي رويت عن العرب بمعنى: "ترقيص الطفل"[2].

كما تحول صوت القاف في نطق لهجات الخطاب المعاصرة في بلدان الخليج العربي والرياض إلى صوت الجيم المزدوج، ففي البحرين يقولون، الجبلة، أي: القبلة، وفي الرياض يقولون: الدّزبلة، أي القبلة أيضًا. حيث يحولونه إلى الازدواج عن طريق: dz، وليس: dj كما هو الحال في الفصحى! أما الفلسطينيون فإنهم يحولونه في لهجات الخطاب إلى صوت الكاف، حيث يقولون في: قال كال، وفي: قتل: كتل ونحو ذلك.

وثمة ظواهر صوتية كثيرة تعدُّ تحولا تاريخيًا، يتطلب من الباحثين التثبت من حدوثه، وذلك بتتبع أحوالها عبر فترات اللغة وأزمانها، بالوصول بها إلى أقدم لغة أم تنتسب إليها هذه الظاهرة، وقد عرض ماريو باي لحوالي عشرين ظاهرة، نذكر منها:

أولاً: الإعلال Ablaut، وهو التغييرات التي تحدث لصوت العلة، تبعًا لموضع النبر في اللغة الأم، أو لموقع النبر في فترة متأخرة، ويمثل لها الكلمات الإنجليزية: sing، sang، sung، وأنها تعكس أحوالا في اللغة الأم، حينما كان النبر يقع على الجذر أو على المقاطع السابقة واللاحقة، الأمر الذي فقد مؤخرًا[3].

والإعلال في اللغة العربية الفصحى ولهجاتها، ظاهرة صرفية صوتية، أولاها العلماء العرب اهتمامًا كبيرا في دراساتهم وبحوثهم التاريخية لأصول الصيغ الصرفية وأحوالها، وصنفوا الصيغ العربية، التي تغيرت تغيرًا تاريخيًا بتأثير قواعد الإعلال وكذا الإبدال وبذلوا جهودًا جديرة بالتقدير في هذا المجال.

---

(1) الإبدال، لأبي الطيب ٢/ ٥٦٢

(2) انظر: أسس علم اللغة ١٤٣

(3) انظر: أسس علم اللغة ١٤٦

ثانياً: المماثلة: Assimilation ومعناها جعل الصوتين غير المتماثلين متماثلين، مثال ذلك: nd (الهندوأوربية) الموجود في اللغة اللاتينية في الكلمة: spondéo، التي تغيرت في الجرمانية إلى nn، وكذلك الكلمة الأنجلو سكسونية spánnan، الموجودة في الإنجليزية في الكلمة: spán، وفي الألمانية spánnen، وكلمة: londón، التي ينطقها اللندنيون كما لو كانت: Lunnon، وفي الأميريكية المبتذلة تنطق كلمة: wonderful، كما لو كانت: wúnnerful[1].

وتعدُّ المماثلة من الظواهر الصوتية؛ التي أولاها العلماء العرب القدامى اهتمامهم في دراستهم لأحوال التغير والتحول في أصوات اللغة العربية وصيغها الصرفية، وقد عالج سيبويه كثيرًا من أمثلته في باب الإدغام، كما أفاض ابن جني في كتابه: الخصائص، وسر صناعة الإعراب في معالجته لأمثلة كثيرة، حيث فسَّر هؤلاء العلماء الأجلاء ماطرأ على أصوات الصيغ الصرفية وحروفها من تغييرات وتركيبات في ضوء قواعد الإدغام وقوانينه.

ومن أمثلة ما ذكره العلامة ابن جنى تعليقه على قول تأبط شرًا: ا (البسيط)

كَأَنَّما حَثحَثوا حُصّاً قَوادِمُهُ أَو أُمَّ خِشفٍ بِذي شَثٍّ وَطُبّاقِ

بقوله: إنه أراد: حَثَّثوا، فأبدل من الثاء الوسطى حاءً، فمردود عندنا، وإنما ذهب إليه البغداديون، وأبو بكر بن السراج معهم، وسألت أبا على عن فساده فقال: العلة في فساده، أن أصل القلب في الحروف، إنما هو فيما تقارب منها، وذلك: الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء، والهمزة والهاء، والميم والنون، وغير ذلك مما تدانت مخارجه، فأما الحاء فبعيدة عن الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها. قال وإنما (حثحثت) أصل رباعي، و(حثثت) أصل ثلاثي وليس واحد منها من لفظ صاحبه، إلا أن (حثحثت) من مضاعف الأربعة، و(حثثت) من مضاعف الثلاثة[2].

كما أشار إلى ذلك ابن سيده في مخصصه بقوله: "ما لم تتقارب مخرجاه ألبتة فقبل على حرفين متقاربين، فلا يسمى بدلا، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم، من حرف من حروف الحلق"[3].

---

(1) نظر: أسس علم اللغة ١٤٧

(2) سر صناعة الإعراب ١/ ١٩٧

(3) المخصص ١٣/ ٢٧٤

التغييرات التركيبية للألفاظ

وهي تلك التي تصيب الأصوات، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض، في كلمة واحدة.[1].

وثمة قوانين عديدة للتغييرات التركيبية، لعل من أهمها قانون المماثلة والمخالفة، وكذلك قانون السهولة والتيسير، وانتقال النبر وبلى الألفاظ وتأثير المقاطع الصوتية، وقانون الأصوات الحنكية، وغيرها من القوانين الصوتية المختلفة. ونقصر حديثنا في هذه الدراسة على قانون المماثلة والمخالفة، ونبدأ دراستنا بالمماثلة، ثم نتبعها بالمخالفة. وفيما يلي نقدم رسمًا تخطيطيًا لأشكال التأثر وصوره (أنواع المماثلة)[2]:

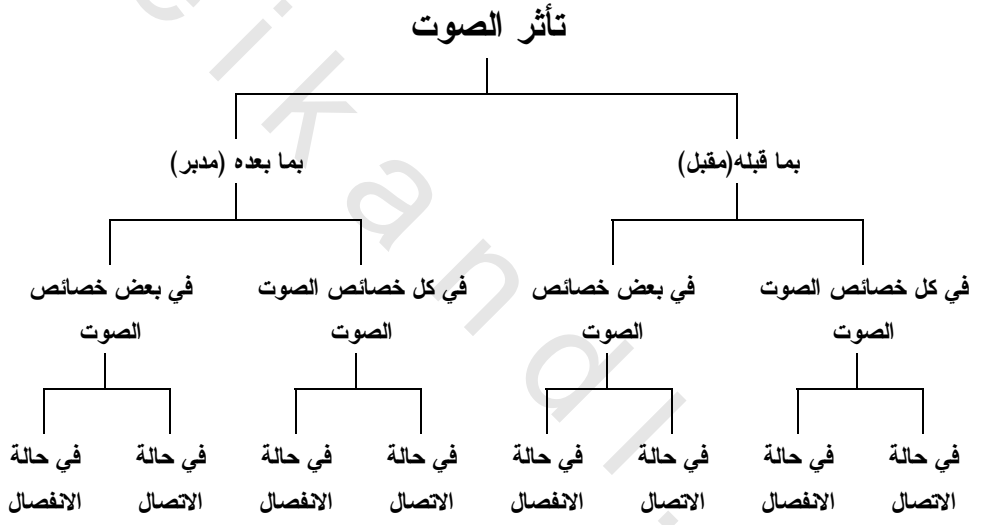

وينتج عن هذه الأشكال المرسومة ثمانية أشكال على النحو الآتي:

١- تأثر مقبل كلي في حالة الاتصال.

٢- تأثر مقبل كلي في حالة الانفصال.

٣- تأثر مقبل جزئي في حالة الاتصال.

٤- تأثر مقبل جزئي في حالة الانفصال.

٥- تأثر مدبر كلي في حالة الاتصال.

---

(١) التطور اللغوي: ١٧

(٢) انظر: التطور اللغوي ١٣ وما بعدها.

obeikandl.com

٦- تأثر مدبر كلي في حالة الانفصال.

٧- تأثر مدبر جزئي في حالة الاتصال.

٨- تأثر مدبر جزئي في حالة الانفصال.

١-<u>النوع الأول: التأثر المقبل الكلي في حالة الاتصال</u>[١]:

أ- تأثر تاء الافتعال دائمًا بالدال أو الطاء قبلها، فتقلب دالا أو طاء، ومن ذلك: ادَّرك: تحولت تاء الافتعال دالا، نظرًا للقرابة المخرجية، (كلاهما صوت أسناني لثوي، غير أن الدال مجهورة، والتاء مهموسة.)

ا د ت ر ك ⟵ ا د د ر ك ⟵ ا دّ ر ك

ا ف ت ع ل ⟵ ا ف ت ع ل ⟵ افتعل

ب- تأثر تاء الافتعال غالبا بالذال أو بالصاد أو بالضاد قبلها، فتقلب دالا أو ضادًا، مثال ذلك: صيغة افتعل من الأفعال الآتية:

اذّكر: تحولت تاء الافتعال ذالا، نظرًا للقرابة المخرجية.

ا ذ ت ك ر ⟵ ا ذ ذ ك ر ⟵ اذّكر

ا ف ت ع ل ⟵ ا ف ت ع ل ⟵ افتعل

جـ- تأثر تاء الفاعل بلام الفعل، إذا كانت طاء، فتقلب طاء في بعض اللهجات القديمة، وعلى هذه اللغة، جاء قول علقمة بن عبدة التميمي(الطويل)

وفي كلّ حيّ قد خبطّ بنعمةٍ فحُقَّ لشأسٍ مِنْ نَدَاكَ ذَنُوب

وفي ذلك يقول سيبويه: "وأعرب اللغتين وأجودهما أن لا تقلبهما طاء، لأن هذه التاء علامة الإضمار، وإنما تجئ لمعنى، وليست تلزم هذه التاء الفعل، ألا ترى أنك إذا أضمرت غائبًا قلت: (فعل) فلم تكن فيه تاء"[٢].

خبطّ: تحولت فيها التاء طاء، ثم أدغمت في الطاء قبلها، نظرًا للقرابة المخرجية والاتفاق في صفة الهمس.[٣]

---

(١) انظر: علم الأصوات ١٩٧ وكذا التطور اللغوي ٣٣ــ٣٤.

(٢) الكتاب ٢/ ٤٢٢.

(٣) انظر: علم الأصوات ١٩٨

خ ب ط ت ⟵ خ ب ط طَ ⟵ خبطَّ

ف ع ل ت ⟵ ف ع ل ت ⟵ فعلتَ

٢- <u>النوع الثاني</u>: <u>التأثر المقبل الكلي في حالة الانفصال</u>:

وفي هذه الحالة يتأثر الصوت بالصوت الذي قبله، ولكن مع وجود فاصل، سواء أكان الفاصل صوتًا صامتًا أم صوتًا صائتا، فيتحول إلى صوت مماثل للصوت السابق، ومن ذلك:

أ- تأثر حركة الضم في ضمير النصب والجر الغائب المفرد المذكر والمثني (بنوعيه: المذكر والمؤنث) والجمع بنوعيه: (المذكر والمؤنث) بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة، أو ياء فتقلب الضمة إلى كسرة، ومثال ذلك[1]:

<u>المفرد المذكر</u>:

بعملِهُ ⟵ بعملِهِ ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هـُ، إلى كسرة: هِـ، لتماثل كسرة اللام قبلها.

فِيهُ ⟵ فِيهِ ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هـُ، إلى كسرة: هِـ لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

عَلَيْهُ ⟵ عَلَيْهِ ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هـُ، إلى كسرة: هِـ، لتماثل الياء قبلها.

بعملِهُم ⟵ بعملِهِم ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هُم، إلى كسرة: هِم، لتماثل كسرة اللام قبلها.

محاميهُم ⟵ محاميهِم ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هُم، إلى كسرة: هِم، لتماثل الكسرة الطويلة قبلها.

إليهُم ⟵ إليهِم ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هُم، إلى كسرة: هِم، لتماثل الباء قبلها.

---

(1) انظر: علم الأصوات ١٩٩ وما بعدها، وانظر التطور اللغوي ٣٤

obeikandl.com

جمع المؤنث:

بهُنَّ ⟵ بهِنَّ ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هُـنَّ، إلى كسرة: هِنَّ، لتماثل الكسرة قبلها.

المثنى بنوعيه (المذكر والمؤنث) :

بهُما ⟵ بهِما ⟵ تحولت الضمة في الضمير: هُما، إلى كسرة: هِما، لتماثل كسرة الباء قبلها.

وقد حافظت قراءة حفص عن عاصم على الضمة، ولم تحولها كسرة، أي أنه حافظ على أصل الحركة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ**﴾ (الكهف١٨/ ٦٣) وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ**﴾ (الفتح٤٨/ ١٠).

كما حافظت القبائل الحجازية على هذا الأصل (التاريخي) في نطقها، وفي ذلك يقول سيبويه: "فالهاء تكسر إذا كانت قبلها ياء أو كسرة، وذلك قولك: مررت بهي قبلُ، ولديهُما مال، ومررت بدار هي قبل. وأهل الحجاز يقولون: مررت بهو قبل، ولديهُ مال ويقرءون: (فَخَسَفْنَا بهو وبدارهو الأرض)[1]، في قوله تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ**﴾ (القصص٢٨/٨١)

ويقول المبرد: "فأما أهل الحجاز خاصة، فعلى الأمر الأول فيها، يقرءون: (فَخَسَفْنَا بِهُو وبدَارِهُو الأَرْض)، ومن لزم اللغة الحجازية قال: عليهُ مال"[2]. كما بذكر ذلك ابن مالك بقوله: "ولغة الحجازيين في هاء الغائب الضم مطلقًا، وهو الأصل، فيقولون ضربتهُ ومررت بهُ ونظرت إليهُ، ولغة غيرهم الكسرة بعد الكسرة أو الياء الساكنة إتباعًا، وبلغة غيرهم قرأ القراء إلا عاصمًا وحفصًا في: ﴿**وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ**﴾ (الكهف ٦٣/١٨) و﴿**بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ**﴾ (الفتح ١٠/٤٨) وحمزة في: ﴿**لِأَهْلِهِ امْكُثُوا**﴾ (القصص ٢٩/٢٨) في الموضعين، فإنهما قرءا بالضم على لغة الحجازيين"[3].

([1]) الكتاب ٢/ ٢٩٤

([2]) المقتضب للمبرد ١/ ٣٧

([3]) شرح التسهيل ١/ ١٤٤

٣- النوع الثالث: التأثر المقبل الجزئي في حالة الاتصال[1]:

ويحدث هذا التأثر بأن يتحول الصوت اللاحق لتأثره بالصوت السابق عليه مباشرة لتماثله به في القرابة المخرجية أو في بعض الصفات الصوتية، يتحول إلى صوت قريب الشبه في المخرج أو الصفات الصوتية. ومن أمثلة ذلك:

أ- تأثر تاء الافتعال بالصاد أو بالضاد أو بالزاي قبلها، فتقلب طاءً في الحالتين الأوليين، ودالا في الحالة الثالثة مثل: اصطبغ: تحولت تاء الافتعال طاءً، لتأثرها بالصاد قبلها نظرًا لاتفاقهما في صفة التفخيم.

ا ص ت ب غ ← ا ص ط ب غ ← اصطبغ

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اضطجع تحولت تاء الافتعال طاءً لتأثرها بالضاد قبلها نظرًا للقرابة المخرجية، والاتفاق في صفة التفخيم.

ا ض ت ج ع ← ا ض ط ج ع ← اضطجع

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

ازدجر: تحولت التاء دالا، لتأثرها بالزاي قبلها، نظرًا للقرابة المخرجية، والاتفاق في صفة الجهر.

ا ز ت ج ر ← ا ز د ج ر ← ازدجر

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

ب- تتأثر تاء الافتعال بالجيم، إذا كانت فاءً للفعل، فتقلب دالا في بعض اللهجات القديمة، وذلك في مثل:

اجدمع: تحولت تاء الافتعال دالا لتأثرها بالجيم قبلها نظرًا للقرابة المخرجية، والاتفاق في صفة الجهر.

ا ج ت م ع ← ا ج د م ع ← اجدمع

ا ف ت ع ل ← ا ف ت ع ل ← افتعل

اجدزّ: تحولت التاء دالًا، لتأثرها بالجيم قبلها، نظرًا للقرابة المخرجية، والاتفاق في صفة الجهر.

---

(1) انظر: علم الأصوات ٢٠١ وما بعدها، وكذا التطور اللغوي: ٣٥ – ٣٧ .

ا ج ت ز ز ⟵ ا ج د ز ز ⟵ اجدزّ

ا ف ت ع ل ⟵ ا ف ت ع ل ⟵ افتعل

وقد ذكر ذلك ابن جني بقوله: "وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم في بعض اللغات، قالوا: اجدمعوا، في: اجتمعوا، واجدزَّ في: اجتزَّ، وأنشدوا: (الوافر)

فقلت لصاحبي لا تحبساني بنزع أصوله واجدزّ شيحا

ولا يقال ذلك إلا أن يسمع: لا تقول في: اجترأ، اجدرأ، ولا في: اجترح، اجدرح"[1].

جـ- تأثر التاء بالأصوات المجهورة قبلها، فتقلب دالا في بعض اللهجات القديمة، وذلك في مثل:

يجذو: حيث تأثرت الثاء بالجيم قبلها، فتحولت ذالًا، وذلك نظرًا للاتفاق في صفة الجهر.

ى ج ث و ⟵ ى ج ذ و ⟵ يجذو

ى ف ع ل ⟵ ى ف ع ل ⟵ يفعل

وفي مثل:

تلعثم: حيث تأثرت الثاء بالعين قبلها، فتحولت ذالا، وذلك نظرًا للاتفاق في صفة الجهر.

ت ل ع ث م ⟵ ت ل ع ذ م ⟵ تلعذم

ت ف ع ل ل ⟵ ت ف ع ل ل ⟵ تفعلل

وقد أنكر ابن جني هذا النوع من التأثر والمماثلة، ويقول بأنهما لغتان "وأما قولهم: جذوت وجثوت، إذا قمت على أطراف أصابعك، وقرأت على أبي على: (الطويل)

إذا شئت غنتني دهاقين قرية وصنّاجة تجذو على كل منْسم

فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه، بل هما لغتان، وكذلك قولهم أيضًا: قرأ فما تلعثم وما تلعذم"[2].

([1]) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠١

([2]) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠١

د– تأثر تاء الفاعل بلام الفعل، إذا كانت صوتًا مفخمًا، فتقلب التاء طاء في بعض اللهجات القديمة، مثال ذلك قولهم: "فحصط برجلي بدلا من: فحصت"[1].

فحصط: تأثرت التاء بالصاد قبلها، فقلت طاء، وذلك نظرًا للقرابة المخرجية، والاتفاق في صفة الهمس والتفخيم معًا.

ف ح ص ت ⟵ ف ح ص ط ⟵ فحصط.

ف ع ل ت ⟵ ف ع ل ت ⟵ فعلت.

ويشيع مثل هذا التأثر–أيضًا–في لهجات الخطاب المعاصرة في معظم بلدان الجزيرة العربية والعراق ودول الخليج العربي، وكذا في صعيد مصر. فيقال في: فعصْتُ، فعصْطُ.

هـ–تأثر الزاي المجهورة بصوت الشين المهموسة قبلها، فقلبت إلى نظيرها المهموس، وهو صوت السين، ومثال ذلك: ما رواه أبو الطيب في أنه يقال في: نشز: نشْس[2].

ن ش ز ⟵ ن ش س

نشز ⟵ نشس

وذلك بهمس الزاي ، لتكون سينًا .

٤–النوع الرابع: <u>التأثر المقبل الجزئي في حالة الانفصال</u>[3]:

أ– تأثر السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب إلى نظيرها المجهور وهو صوت الزاي، ومثال ذلك: ما رواه ابن هشام اللخمي عن لهجة الأندلس العربية في القرن السادس الهجري، إذ إنهم يقولون في كلمة: مهراس: مهراز[4].

م هـ ر ا س ⟵ م هـ ر ا ز

مهراس ⟵ مهراز

وذلك بجهر السين، فتكون زايًا .

ب– تأثر صوت الذال بالقاف قبلها، فتقلب إلى نظيرها المفخم، وهو صوت الظاء، وذلك في بعض اللهجات العربية القديمة، حيث يقال للشاة التي تضرب بخشبة حتى تموت: وقيذ ووقيظ.

---

(1) الكتاب ٢/ ٤٢٢ وسر صناعة الإعراب ٢/ ٢٢٥

(2) الإبدال، لأبي الطيب ٢/ ١١٨

(3) انظر: علم الأصوات ٢٠٤–٢٠٥ وكذا: التطور اللغوي ٣٧ــ ٣٨

(4) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٤

و ق ي ذ ⟵ و ق ي ظ

وقيذ ⟵ وقيظ

وذلك بتفخيم الذال، لتكون ظاء ولاتفاقهما في المخرج الأسناني وفي صفة الجهر، وكذا في كونهما صوتين احتكاكيين .

وفي هذا يقول ابن جني: "يقال: تركته وقيذًا ووقيظًا، والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله، عز اسمه: والموقوذة، بالذال، ولقولهم: وقذه، يقذه، ولم أسمع: وقظه، ولا موقوظة، فالذال أعم تصرّفًا، فلذلك قضينا بأنها الأصل"[1].

جـ- تأثر الدال بالراء قبلها، فتقلب إلى نظيرها المفخم، وهو الضاد، حيث إن صوت الراء، قد يتصف أيضا بصفة التفخيم، ومثال ذلك: ما روي عن لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري في كلمة مثل: معربد تحول إلى معربض[2].

ويشيع هذا التأثر أيضا في بلاد الجزيرة العربية والعراق ودول الخليج العربي وصعيد مصر في لهجات الخطاب المعاصرة .

م ع ر ب د ⟵ م ع ر ب ض

معربد ⟵ معربض

وذلك بتفخيم الدال ولاتفاقهما في صفة الجهر، وصفة الانفجار أيضا.

٥- <u>النوع الخامس: التأثر المدبر الكلي في حالة الاتصال</u>[3]:

ويكون ذلك بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه مباشرة، فيتحول إلى نفس الصوت، ثم يدغم فيه، وثمة أمثلة كثيرة لا تقع تحت حصر، نذكر منها:

أ- في مضارع صيغتي: تفعَّل وتفاعل، تتأثر التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل، إذا كان صوتًا من أصوات الصفير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

---

(1) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣٣

(2) لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

(3) انظر: علم الأصوات ٢٠٥ وما بعدها، وكذا التطور اللغوي ٣٨- ٤٣

- **صيغة: يتفعَّل**

يذَّكَّر: حيث تأثرت التاء بالذال بعدها، فقلبت ذالًا، ثم أدغمت في الذال بعدها للقرابة المخرجية.

ى ت ذ ك ك ر ← ى ذ ذ ك ك ر ← يذَّكَّر

ى ت ف ع ع ل ← ى ت ف ع ع ل ← يتفعَّل

وكذلك الحال في صيغة الماضي: اذَّكَّر:

ا ت ذ ك ك ر ← ا ذ ذ ك ك ر ← ا ذَّ كَّ ر ← (اذّكّر)

ا ت ف ع ع ل ← ا ت ف ع ع ل ← اتفعَّل ← (اتفعَّل)

- **صيغة: يتفاعل**

يثَّاقل: تأثرت التاء بالثاء بعدها، فقلبت ثاء، ثم أدغمت التاء في الثاء، نظرًا للاتفاق المخرجي وفي صفة الهمس.

ى ت ث ا ق ل ← ى ث ث ا ق ل ← ى ثَّ ا ق ل ← يثَّاقل

ى ت ف ا ع ل ← ى ت ف ا ع ل ← ى ت ف ا ع ل ← يتفاعل

وكذلك الحال في صيغة الماضي: اثَّاقل

وقد حدث هذا في اللغة العربية القديمة، وجاء ذلك في القرآن الكريم، جنبًا إلى جنب مع الصيغة الأخرى، التي لم يحدث فيها تغيير أو تحويل، كقوله تعالى: ﴿**اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ**﴾ (التوبة ٩/ ٣٨) وقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا**﴾ (البقرة ٢/ ٧٢) وقوله تعالى: ﴿**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ**﴾ (النمل ٢٧/ ٦٦) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ**﴾ (البقرة ٢/٢٦٩) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ (عبس ٨٠/ ٣ – ٤) وقوله تعالى: ﴿**حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ**﴾ (يونس: ١٠/٢٤).

ويقدم الدكتور/ رمضان عبد التواب أمثلة تؤكد أن هذه الظاهرة كانت في سبيل تكونها وظهورها في اللغة العربية، عندما جاء الإسلام، بدليل أن القرآن الكريم فيه من الآيات التي تطورت كلماتها وتغيرت، والكلمات التي حافظت على صورتها القديمة "لذلك نجد أمثلتها في القرآن الكريم –كما قلنا– جنبًا إلى جنب مع الصيغ القديمة التي

لم يحدث فيها تغيَّر للأصوات، كقوله تعالى: ﴿**لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ**﴾ (القلم: ٤٩/٦٨) وقوله تعالى: ﴿**وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ**﴾ (غافر: ١٣/٤٠) وقوله تعالى: ﴿**قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ**﴾ (يس: ١٨/٣٦) ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ**﴾ (النمل: ٢٧/ ٤٧) بل إن الآية الواحدة لتحتوي في بعض الأحيان على الصورتين معا، كقوله تعالى: ﴿**لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ (ص: ٢٩/٣٨)[1].

ب- تتأثر لام التعريف بما بعدها من أصوات الصفير والأسنان والأصوات المائعة وهي ما يُطلِق عليها علماء العرب الحروف الشمسية، حيث تقلب إلى صوت منها، ثم يدعم الصوت في الصوت، وهذه الأصوات الشمسية جمعها أحد الشعراء في أوائل كلمات البيت التالي:

طب ثم صل تفز ذا نعم دع سوء ظن زر شريفا للكرم

كما ذكرها أبو العلاء المعري على ثلاثة أقسام: "والحروف التي تدغم فيها لام التعريف، تنقسم في ترتيب حروف المعجم ثلاثة أقسام: **فالقسم الأول**: حرفان متواليان، وهما الثالث من حروف المعجم والرابع، وذلك: التاء والثاء، **والثاني**: عشرة أحرف متواليات، أولها: الدال على ترتيب حروف المعجم، وآخرها: الظاء، **والثالث**: حرف فارد، تدغم فيه اللام، وهو: النون"[2].

جـ- تأثر اللام بالراء، في كلمة: بل، مع الكلمة التالية المبدوءة بالراء، فتقلب اللام راءً، للقرابة المخرجية، والاتفاق في صفة الجهر، ومن ذلك قول الشاعر: (الخفيف)

عافت الماء في الشتاء فقلنا بل رديه تصادفيه سخينا

"فإنها تنطق: (برّديه) وكان ذلك هو السبب الذي أوقع قطربا النحوي (محمد بن المستنير) المشهور في الخطأ، حين زعم أن "برد" من كلمات الأضداد، تأتي بمعنى: برَّد وسخَّن، اعتمادًا على هذا البيت، ولم يدر أن الراء منقلبة عن اللام في: بل، وقد عابه

---

(1) التطور اللغوي ٣٠

(2) الصاهل والشاحج ٤٨٥

بذلك أبو الطيب اللغوي في كتابه: الأضداد[1]. ومن أمثلة هذا التغيُّر أيضًا قوله تعالى: ﴿**كلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبهِم**﴾ (المطففين: ١٤/٨٣) وهذا هو السر في أن بعض القراء يسكت بعد اللام سكتة لطيفة، حتى يوجد فاصلًا بين اللام والراء بعدها، فلا تتأثر بها"[2].

د- في بعض قراءات القرآن الكريم، تتأثر الراء باللام بعدها، فتقلب لامًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يَغْفرْ لَكُم**﴾ لكن ابن جني كان ينكر ذلك، حيث يقول: "اعلم أن الراء، لما فيها من التكرير، لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف، لأن إدغامها في غيرها، يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير، فأما قراءة أبي عمرو: يغفر لكم، بإدغام الراء في اللام، فمدفوع عندنا، وغير معروف عند أصحابنا، إنما هو شيء رواه القراء، ولا قوة له من القياس"[3].

هـ- أورد سيبويه شواهد على تأثر لام: هل، وبل، بالشين والثاء والتاء بعدها، ومن ذلك قول طريف العنبري: (الطويل)

تقول إذا استهلكت مالا بلذةٍ فكيهة هشّيء يكفيك لائق

كما قرأ أبو عمرو: هثّوّبَ الكفار، يريد: هل ثُوّب الكفار، كما قرئ: بتَّوثرون الحياة الدنيا، يريد: ﴿**بَلْ تُؤثرون**﴾ (الأعلى ١٦/٨٧) ومن شواهد ذلك قول مزاحم العقيلي: (الطويل)

فَدعْ ذا ولكن هتُّعين مُتيمًا على ضوء برق آخر بالليل ناصب

يريد: هل تعين[4].

٦- <u>النوع السادس</u>: <u>التأثر المدبر الكلي في حالة الانفصال</u>[5]:

حيث يحدث هذا التأثر بأن يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه، ولكن مع وجود فاصل بينهما، وذلك بسبب القرابة المخرجية أو الاتفاق في الصفات الصوتية، كما هو الحال فيما يلي:

---

(1) الأضداد، لأبي الطيب ١/ ٨٦
(2) التطور اللغوي ٣٢
(3) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٠٦
(4) الكتاب ٢/ ٤١٧
(5) انظر: علم الأصوات ٢٠٩ وما بعدها، وكذا التطور اللغوي ٤٣ــ ٤٥

أ- كلمة: مُنْذُ، حرف من حروف الجر في الأسماء، فإن أصلها التاريخي، كان عبارة عن كلمتين هما: مِنْ: حرف الجر، وذُو: اسم الموصول (عند الطائيين) وقد تأثرت كسرة الميم في الكلمة: مِنْ، بضمة الذال في الكلمة: ذُو، فتحولت الكسرة إلى الضمة، فصارت الكلمة: مُنْذُ بعد تقصير الواو الطويلة في: ذُو إلى مجرد ضمة قصيرة، بفعل انتقال النبر عن موضعه، وأما تحول الكسرة في: منْ، إلى ضمة، فذلك أمر تسوغه القوانين الصوتية، فكلاهما أي الكسرة والضمة من الحركات الضيقة... ومن ثم، فإنها تنقلب إلى بعضها الآخر.

ولعل مقارنة بين ما حدث لكلمة: مُنذُ في اللغة العربية، من تغير تاريخي، بنظيرتها السامية اللغة الحبشية، يساعدنا في تفسير هذا التحول، فكلمة: emzaʿ تقابل كلمة: مُنْذُ العربية، وهي أيضًا مركبة من كلمتين، على النحو الذي أسلفنا توضيحه في العربية، حيث يتألف أصلها التاريخي السامي من: emʿ بمعنى: مِنْ، و zaʿ، بمعنى: اسم الموصول، كما هو الحال في العربية عند الطائيين. وقد ورد في لسان العرب أن بنى سليم ينطقونها بكسر الميم، حيث يقولون: "ما رأيته مِنْذُ ست بكسر الميم"[1].

ب- تأثرت كسرة الميم في صيغتي اسم الآلة: (مِفْعَل ومِفْعلة) بفتحة العين بعدهما، فتحولت إلى فتحة، وأصبحت (الصيغتان: مَفْعَل ومَفْعلة) في لهجات الخطاب القديمة، وقد أوردت المصادر اللغوية في كتب اللحن، شيوع هذا التحول في لهجة الأندلس العربية في القرن الرابع الهجري[2] وامتداده إلى ما بعد ذلك لقرون طويلة، فقد روى ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧هـ) أن الأندلسيين كانوا يقولون: " مَصْيدة ومَطرقة ومَروْد ومَشْرط ومَنبْر ومَكْنسة ومَروحة ومَلعقة"[3].

أما ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فقد ذكر أن العامة في عصره يقولون: "مَكْنِسة بدلا من مِكْنسة"[4] بفتح الميم، على سبيل التأثر المقبل، حيث تأثرت فتحة العين في

---

(1) لسان العرب (منذ) ٥/ ٤٧

(2) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ١٩٠- ١٩١

(3) انظر: لحن العامة والتطور اللغوي ٢٣٧- ٢٣٨

(4) تقويم اللسان لابن الجوزي ٤٤

(مِفْعَلة) بكسرة الميم، فتحولت إلى كسرة، فتحولت الصيغة إلى: مَفْعِلة، بدلا من: مِفْعَلة في الفصحى.

أما اللهجات العربية الحديثة، فإنها يشيع فيها التأثر المدبر الكلي المنفصل، كما هو الحال عند لهجات الخطاب القديمة في الأندلس.

٧- **النوع السابع: التأثر المدبر الجزئي المتصل**[١]:

حيث يتأثر الصوت بالصوت الذي يليه مباشرة، فيتحول الصوت السابق إلى صوت قريب من الصوت اللاحق، سواء من حيث المخرج أو من حيث الصفات الصوتية، ومن أمثلة هذا التغير أو التحول ما يلي:

أ- تأثر صوت الصاد بصوت الدال بعده، فيتحول إلى صوت الزاي المرققة، فتختفي صفة التفخيم فيه ليتناسب مع صفة الترقيق في صوت الدال المرقق بعده، وهذا التحول حدث في اللهجات العربية القديمة، وذكرت المصادر اللغوية أمثلة لذلك، ومنها ما ورد في كتب القلب والإبدال وكتب اللحن، ومن ذلك ما أورده ابن السكيت بقوله: "والعرب تقول: ازْدُق بمعنى: اصْدُق، ولايقولون زدق"[٢] وفي المثل العربي الذي ورد في لحن العوام للزبيدي: " لم يحُرم من فُزد له"[٣] أي: فُصِد له. كما ذكر أبو الطيب اللغوي قوله: "ويقال في المزدغة والمصدغة للمخدة، وطيء تقلب كل صاد ساكنة زايًا، قال الأصمعي: كان حاتم الطائي أسيرا في عنزة، فجاءته النساء بناقة ومفصد، وقلن له: افصد هذه الناقة، فأخذ المفصد، فلتم في سبلتها، أي: نحرها، وقال: هكذا فزدي أنه، أي: فصدي أنا، ثم قال: (السريع)

لا أفصد الناقة من أنفها لكنني أوجرها العاليهْ

وقد قرئ في القرآن الكريم: "حَتَّى يَصدُر الرعَاء" بهذا التأثر المدبر: يَـزْدُر الرّعـاء؛ ويقال: هو كثير الفزد لك، والفصد لك[٤].

ويعلق الدكتور/ رمضان عبد التواب على نص أبى الطيب اللغوي بقوله: "وكل هذه الأمثلة، وقعت فيها الصاد قبل الدال مباشرة، وهي السبب في هذه المماثلة، فلا يصح

---

(١) انظر: علم الأصوات ٢١١ وما بعدها وكذا التطور اللغوي ٤٥ــ ٤٧
(٢) القلب والإبدال، لابن السكيت ٤٥
(٣) لحن العوام، للزبيدي ١٩٤
(٤) الإبدال، لأبي الطيب ٢/ ١٢٦- ١٢٨

أن يقال كما في هذا النص: "وطيء تقلب كل صاد ساكنة زايًا، بل تزاد عبارة: (قبل دال) ولعلها ساقطة من أصل الكتاب"[1].

ب- تأثر صوت النون الساكنة، بصوت الباء بعدها مباشرة، فتقلب النون ميمًا، وذلك بسبب القرابة المخرجية، وكذا الاتفاق في صفة الجهر، وقد أطلق علماء القراءات على ذلك "الإقلاب" وذلك كثير في القرآن الكريم، في مثل قوله تعالى: ﴿**إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا**﴾ (الشمس: ١٢/٩١) وغيرها من الآيات البينات، وقد شاع مثل هذا القلب في لهجات الخطاب المعاصرة في مصر وفي غيرها من البلدان العربية، ومن أمثلة ذلك في مصر قولهم في: مِنْبر: ممبر، وقولهم في: جنب، جمب، وفي: كرنب: كرمب وغيرها من الأمثلة.

جـ-أمثلة كثيرة وردت على ألسنة العوام في لهجات الحضارة المعاصرة في تحويلهم صوت الزاي سينا في مثل قولهم في: يزحف، يسحف، حيث تأثرت الزاي المجهورة بصوت الحاء المهموسة، بعدها فقلبت الزاي المجهورة إلى نظيرها المهموس، وهو صوت: السين لتناسب صوت الحاء.

٨- **النوع الثامن: التأثر المدبر الجزئي في حالة الانفصال**[2]:

وذلك بأن يتأثر الصوت بصوت بعده، مع وجود فاصل بينهما متمثلا في صوت آخر، ويتحول الصوت المتأثر إلى صوت آخر قريب من الصوت الذي بعده، سواء في المخرج أم في الصفات الصوتية، ومن أمثلة هذا التأثر ما يلي:

ما ورد عن قراءة ورش عن نافع، " أم هم المصيطرون" ولست عليهم بمصيطر "بإخلاص الصاد في: مصيطر، والمصيطرون[3]. والقراء بالسين. وفيهما: تأثرت السين المرققة في قراءة القراء بصوت الطاء المفخمة بعدها مع وجود الياء الفاصلة بينهما، فقلبت السين صادًا لتناسب الطاء المفخمة. ويكثر مثل هذا التأثر بتحول الأصل التاريخي للصوت إلى صوت آخر في لهجات الخطاب المعاصرة وذلك في مثل قولهم في كلمة: توصيل، طوصيل، ومثل قولهم في: تلخيص، طلخيص، وفي مثل قولهم في:

---

(١) التطور اللغوي ٣٤

(٢) انظر: علم الأصوات ٢١٣-٢١٤ وكذا التطور اللغوي ٤٧ــ ٤٨

(٣) انظر: مقدمتان في علوم القرآن ١٤٨

سور، صور، وفي: ماسورة، ماصورة. وغيرها من الأمثلة سواء أكانت في لهجات الخطاب عند المصريين أم في البلدان العربية.

ثالثاً: المخالفة: Dissimjlation ويذكر ماريو باي أنها عكس الماثلة " أي جعل الصوتين المتماثلين غير متماثلين، مثال ذلك الكلمة اللاتينية، Peregrinum، التي تغيرت في تتابع سريع إلى الفرنسية: Pelerin، بلام وراء بدلا من: راءين[1] ". كما يعرفها فندريس بقوله: "ينحصر التخالف، وهو الشكل المضاد للتشابه، في أن يعمل المتكلم حركة نطقية مرة واحدة، وكان حقها أن تعمل مرتين، فمن الكلمة اللاتينية، Arborem، بمعنى: شجرة، نشأت الكلمتان الأسبانية: Arbol، والبروفنسية Albre، فالذي حدث في كلتا الحالتين، مع اختلاف الترتيب، هو أن المتكلم، اقتصر على القيام بحركة واحدة فقط من الحركات، التي يتطلبها إنتاج الراء (r) بدلا من أن يقوم بحركتين، واستعاض عن الأخرى بحركة من الحركات التي تنتج عن اللام المائعة[2].

ثمة مخالفة بين السامية الأم واللغة العربية، نستطيع من خلالها التوصل إلى الأصل التاريخي السامي القديم عن طريق ما حدث من مخالفة للصيغ والكلمات المختلفة. ومن أمثلة ذلك كلمة: شمس، فهي في السامية الأولى "شمش" كما هو الحال في الأكادية والعبرية والآرامية، والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم تقلب في العربية (سينًا) وأن هذا القلب هو من قبيل التغيرات التاريخية للأصوات، ولصوت الشين السامية. وبتطبيق هذا القانون التاريخي، تصبح الكلمة العربية: " سمس" إلا أن المخالفة بين صوتي: السين في الكلمة، أدى إلى تحويل الأولى شيناً، ويبدو أن اللهجات العامية في مصر، قد حافظت على القانون التاريخي، لتحويل صوت الشين إلى سين في العربية، فهم يقولون في لهجات الخطاب العامية في: "شمس" العربية الفصيحة: "سمس" بدون مخالفة صوتية[3].

أما كلمة: "سنبلة" وكلمة: " قنفد" فإنهما حدثتا في اللغة العربية عن طريق المخالفة الصوتية بين الصوتين المشددين، وأن مقارنة للكلمتين باللغات السامية يكشف

---

(1) أسس علم اللغة ١٤٧
(2) اللغة: فندريس ٩٤
(3) انظر: التطور اللغوي ٣٧

ذلك، فهما على الترتيب في اللغة العبرية: Sibbolet، Kippod فالكلمتان السابقتان كانتا في الأصل: سُبُّلة، قفُّذ، بتضعيف الباء في الأولى، وتضعيف الفاء في الثانية، ثم تحولت إحدى الباءين والفاءين، في كل منهما نونًا، وذلك للمخالفة بين الصوتين المتماثلين[1]. كما أن أمثلة أخرى كثيرة في اللغة العربية، تدلنا على أن المخالفة قد غيُّرت من هذه الصيغ وحولتها إلى صيغ أخرى، يمثلها الواقع اللغوي والاستعمال الفعلي، ومن ذلك كلمة: قيراط، وكلمة: دينار، بدلا من، قرَّاط، ودِنّار، بدليل أن حالة الجمع فيهما تأتي على: قراريط، دنانير، وقد فصل بين المتماثلين وهما: الراء والنون على الترتيب بصوت: الياء، وذلك للمخالفة بينهما.

وثمة أمثلة كثيرة أخرى ذكرها الكسائي (ت ١٨٩هـ) من أن الناس، كانوا في عصره يزيدون النون في كلمات: إجَّاص، للكمثرى، "إنجاص"، وفي "أترج"، "اترنج"، وفي "إجانة"، "إنجانة" فقال: "ويقال أترجّ وإجّاص وإجّانة " هذه الأحرف بإسقاط النون"[2].

كما كان أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري يقولون: "كرناسة" في "كرّاسة" كما كانوا يطلقون على الأسد كلمة: "عدنبس" بدلا من الكلمة القديمة: "عدبّس" وكانوا يقولون: " تقعور" بدلا من " تقعَّر"[3].

ومن صور المخالفة في اللغة العربية أيضًا: المخالفة بين حركتي الفتح المتتاليتين، إذا كانت الأولى منهما طويلة، إذ تتحول الثانية منهما في هذه الحالة إلى كسرة.

فالأصل في نون المثني هو الفتح، وفتحها لغة، كما يقول ابن مالك في قول حميد بن ثور: (الطويل)

على أحْوذيّيْن استقلت عشية فما هي إلا لمحةٌ وتغيبُ

أنشده الفراء بالفتح، وليس موضع ضرورة[4].

" غير أن نون المثنى قد كسرت في الفصحى، تبعًا لهذا القانون (المخالفة) بدليل أنها لا تزال مفتوحة في نظيرتها في جمع المذكر السالم، وبدليل بعض الأمثلة التي

---

(1) انظر: التطور اللغوي ٣٧

(2) ما تلحن فيه العامة، للكسائي ١١٦

(3) لحن العوام، للزبيدي ٣٥- ١٦١- ١٦٤

(4) تسهيل الفوائد ١٢ وشرح التسهيل ٦٥/١

بقيت على الأصل القديم، وهو ما نسميه بالركام اللغوي"[1] ومن أمثلة هذا الركام اللغوي كلمة: شتان، في مثل قولهم: شتانَ أخوك وأبوك" أي هما متفرقان، فهو تثنية: " شتّ " والشت "المتفرق"[2].

وقد وردت أمثلة بفتح نون المثنى في أشعار العرب، تمثل الأصل التاريخي القديم، تعدُّ من قبيل الركام اللغوي الذي ينبئنا عن الصورة الحقيقية المتمثلة في أن نون المثنى مفتوحة، شأنها في ذلك شأن نون جمع المذكر السالم، ومن ذلك قول حميد بن ثور[3]: (الرجز)

أعرف منها الأنف والعينانا

ومنخران أشبها ظبيانا

ومما يؤكد أن كسر نون المثنى في اللغة العربية الفصحى، إنما جاء في ضوء المخالفة الصوتية، أن نون التوكيد المشددة تأتي مفتوحة في مثل: "يضربنَّ"، "تضربنَّ" وغيرها، غير أنها تأتي مكسورة في "تضربانّ"، وذلك بسبب المخالفة الصوتية السابق ذكرها.

وكذلك –الحال–في النون التي تسمى نون الرفع، في الأفعال الخمسة، تأتي مفتوحة في: يفعلونَ وتفعلونَ وتفعلينَ، في حين تأتي: يفعلانِ وتفعلانِ مكسورة، وذلك بسبب المخالفة الصوتية.

بل إن نصب جمع المؤنث السالم بالكسرة، ليفسر كذلك في ضوء هذه المخالفة الصوتية، حيث إن الأصل هو النصب بالفتحة[4]. ومن الجلي أن الأصل هو الفتح وإنما جاز الكسر، بفعل المخالفة الصوتية.

([1]) التطور اللغوي ٤٢

([2]) لسان العرب (شت) ٢/ ٣٥٥

([3]) النوادر في اللغة، لأبي زيد ١٥

([4]) انظر: العربية الفصحى، لهنري فليش ٤٨

ثانياً: التغير التاريخي على المستوى الصرفي والنحوي:

يذكر ماريو باي أن اللغة تسمى تركيبية Synthetic، "إذا كانت تجمع معاني عدة داخل كلمة واحدة، أو مجموعة من الكلمات، وتسمى تحليلية Analytical، إذا كانت تعبر عن المعاني المنفصلة بكلمات يمكن أن تستعمل مستقلة (مورفيمات حرة)[1]. ويمثل للنوعين من نموذج اللغات التركيبية والتحليلية، فيذكر أن النظام التركيبي يمثل له بالكلمة الإنجليزية Impossible، والكلمة الأسبانية Esperare ويمثل للنظام التحليلي بجملة: I shall wait، ويمثل للنموذج المتطرف للغات التحليلية، تلك اللغات المفردة من المجموعة الصينية، كما يمثل للنموذج المتطرف للغات التركيبية، اللغات المركبة التي تمثل في بعض اللغات الهندية الأمريكية.

ويؤكد ماريو باي بأن أية لغة من اللغات الإنسانية، يمكنها أن تغير نظامها ونموذجها خلال فترات تاريخها، وتنتقل اللغة من النظام التركيبي إلى النظام التحليلي أو بالعكس، ويذكر أن التغير الأول يعدُّ أكثر شيوعًا من الثاني، وبخاصة على مستوى اللغات التي نعرف عن تاريخها معلومات أكثر. ويمثل لذلك باللغة الإنجليزية بأنها من اللغات التي بدأت في نشأتها الأولى في صورة النموذج التركيبي التصريفي، أي أنها نشأت نشأة أنجلو سكسونية، ومع مرور الزمن، عبر فترات التاريخ، فقد تخلت عن كثير من نهاياتها التصريفية، باستعمالها بدلًا من ذلك كلمات مساعدة أو حروفًا، أو مستغلة وسيلة الترتيب في نظام جملها، وكذلك الحال في الانتقال من اللاتينية إلى اللغات الرومانسية، فقد حدث عبر فترات التاريخ تغيرات في سمات مماثلة لما حدث في الإنجليزية وبخاصة فيما يتعلق ببنية الأسماء، أما الانتقال من السنسكريتية إلى الهندية، فقد صحبه تغيير في النظام التصريفي المتطرف إلى نظام لصقي بدرجة كبيرة[2].

([1]) انظر: أسس علم اللغة ١٥١

([2]) انظر: أسس علم اللغة ١٥١- ١٥٢

وكما أسلفنا فإن التحول الذي يطرأ على اللغات عبر فترات تاريخها من لغات ذات نظام تركيبي إلى لغات ذات نظام تحليلي، يستوجب إسقاط النهايات، مما يؤدي بدوره إلى تداخل النظامين:

الإعرابي Declensional، والاشتقاقي Conjugational وما يزال نقاش العلماء حول إسقاط النهايات، وأنه حدث نتيجة ما ينشده المتكلمون من رغبتهم في تيسير لغتهم وجعلها سهلة التناول.

أو أنه حدث بسبب النبر الطارئ في كلامهم على مقاطع أخرى، غير المقاطع المنبورة بأصلها التاريخي فيؤدي ذلك إلى إضعاف تلك النهايات والتقليل من قيمتها الصوتية، ومن ثمة يئول الأمر إلى زوالها واندثارها.

وثمة سؤال ما يزال مطروحًا حول ما يتعلق بأصل اللغات، وهل كانت اللغات الإنسانية تشتمل على كلمات منفصلة (أي مورفيمات حرة) وأنها انضمت فيما بعد إلى بعضها، مكونة كلمات أطول عن طريق اتصال تلك المورفيمات. وبعد مرور أزمان وأحقاب طويلة تنوسيت تلك المورفيمات الحرة، والوحدات المستقلة، وأصبح ينظر إلى الكلمة على أنها بسيطة، ويمثل ماريو باي بالكلمة الفرنسية Aujourd Hui، وأن قليلا من متكلمي الفرنسية الآن الذين ينطقونها هم على وعي بحقيقة تلك الكلمة، وأنها كانت عبارة عن: Ad illum diem de hoc die، ثم تدرجت عن طريق تغييرات افتراضية، محتملة الحدوث على الأقل. في عصر ما قبل التاريخ من النظام التحليلي إلى النظام التركيبي[1].

وقد تضمنت كتب النحو اللاتيني مصطلح الإعراب: Declension الذي يشير إلى التغييرات التي تظهر في الأسماء والصفات والضمائر للغات الهندوأوربية، حينما تأخذ صورة الكلمة شكلا معينًا على ضوء وظيفتها في مجموعة الكلمات وعلى حسب عوامل أخرى ثانوية مثل: العدد والجنس.

(1) انظر: أسس علم اللغة ١٥٢- ١٥٣

أما مصطلح: الاشتقاق: Conjugation، فإنه يشير إلى نظام من التغييرات المتماثلة التي تلحق الفعل طبقا لعوامل الشخص والعدد والجنس والزمن والبناء للمعلوم أو المجهول.

وتجمع اللغة العربية الفصحى بين النموذجين معًا، فهي لغة معربة، تتغير فيها المعاني والدلالات لتغيير العلامات الإعرابية، وتدل العلامة الإعرابية على دلالات لغوية، حيث تتحدد دلالات الفاعلية والمفعولية والمكملات والظروف والإضافات ونحوها بتلك العلامات، بل إن مواقع الكلمات داخل التراكيب تتوقف على تلك العلامات، كما أن اللغة العربية –أيضا– لغة اشتقاقية، تتولد فيها الصيغ وتتنوع عن طريق قواعد الاشتقاق وأسسه التي أفاض علماؤنا العرب في ذكرها وتحديدها وبيان مدى الاطراد أو الشذوذ فيها. فثمة اشتقاقات لاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة والتصغير والنسب والجموع والأزمان والجنس والعدد والبناء للمعلوم والبناء للمجهول، جميعها تأتي عن طريق الاشتقاق والتصريف.

obeikandl.com

ثالثًا: التغير التاريخي على المستوى المعجمي:

تميل مفردات اللغة وألفاظها نحو النمو والتكاثر، لما يطرأ على النشاط الإنساني من إضافات وسلوكيات متنوعة، وذلك عبر فترات التاريخ الإنساني، فثمة مستحدثات تطرأ على البشرية عبر أحقابها وأزمانها، ومن ثم تستوجب نمو الألفاظ والمفردات، وتأتي هذه الألفاظ التي تولدها المعاني الجديدة بوسائل متعددة.. لكنا لا نغفل على الجانب الآخر احتمال هجر الكلمات واختفائها من الوجود إما نهائيًا، وتبقى- فحسب-لفظة مهملة في المعجم، أو أن يقل استعمالها، لما أصابها من قبح أو اشمئزاز المتكلمين بها!

ولكن الذي ينبغي تأكيده أنه على الرغم من الاعتراف بهذا الاختفاء لبعض ألفاظ اللغات ومفرداتها فإن ألفاظا كثيرة تنمو وتزدهر وترى النور في الاستعمال اللغوي، ويمكن القول: إن ذلك يتم بنسبة مئوية عالية ففي مقابل كلمة واحدة تختفي، يظهر في الأفق عشر كلمات جديدة[1] ويحدد ماريو باي مجموعة من الوسائل التي تتولد عن طريقها الألفاظ وتنمو، وهذه الوسائل هي:

١- **الاشتقاق:** Derivation وهو عبارة عن: أخذ كلمة جديدة من أصل موجود (مورفيم حر " formant أو free morpheme) بعد إضافة سوابق ولواحق إليها (مورفيمات متصلة "bound morpheme) عليه. وتسمى الكلمات المشتقة الجديدة: مشتقات: derivation من الكلمات الأصلية. ويذكر ماريو باي بأن الاشتقاق يقوم بدور كبير في استحداث صيغ جديدة[2].

أما الاشتقاق Etymologie الذي هو أحد فروع علم اللغة، التي تدرس المفردات، "فإن فندريس بذكر أن مجاله ينحصر في" أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة، وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون بطاقة شخصية يذكر فيها: من أين جاءت؟ ومتى وكيف صيغت؟ والتقلبات التي مرت بها، فهو إذن علم تاريخي، يحدد صيغة كل كلمة، في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي

---

(١) انظر: أسس علم اللغة ١٥٤

(٢) انظر: أسس علم اللغة ١٥٤

مرت به الكلمة مع التغييرات التي أصابتها، من جهة المعنى، أو من جهة الاستعمال"[1]. فهو إذن عند العلماء الغربيين علم نظري، يعنى بتاريخ الكلمة، ويتتبع حياتها عبر العصور المختلفة.

أما الاشتقاق عند العلماء العرب فهو علم عملي تطبيقي حيث يتم عن طريقه: "توليد لبعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى أصل واحد، يحدد مادتها، ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحى بمعناها الخاص الجديد"[2].

فالاشتقاق بهذه الصورة، هو إحدى الوسائل الرائعة، التي تنمو عن طريقها اللغات، وتتسع، ويزداد ثراؤها في المفردات، فتتمكن به من التعبير عن الجديد من الأفكار، والمستحدث من وسائل الحياة[3].

ثمة نوعان من الاشتقاق تحدث عنهما العلماء العرب القدامى في مؤلفاتهم وبحوثهم وهما: **الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر**.

أما الاشتقاق الأصغر فهو عبارة عن: "أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفًا أو هيئة، كضارب من ضرب، وجذر من جَذَرَ[4]. وهذا النوع الأول هذا الذي يطلق عليه أيضًا الاشتقاق الصرفي، وهو يعنى كما ذكر السيوطي في المزهر اقتراض أصالة صيغة في بعض ألفاظ اللغة وفرعية صيغ أخرى، مما جعل النحاة العرب يختلفون حول أصل المشتقات، ففي حين يري علماء المدرسة البصرية أن المصدر أصل المشتقات، لكونه بسيطًا، أي يدل على الحدث فقط، بخلاف الفعل، الذي يدل على الحدث والزمن، يرى علماء الكوفة أن الفعل هو أصل المشتقات، لأن المصدر يجئ بعده في التصريف وذلك في مثل: ضرب يضرب ضربًا[5].

كما أننا نجد بعض العلماء العرب القدامى يرون أن اللغة العربية لا قياس فيها، وأن كلام العرب توقيفي، ومن هؤلاء أحمد بن فارس الذي يصرح بقوله: "فإن الذي

---

(1) اللغة، لفندريس ٢٢٦
(2) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ١٧٤
(3) فصول في فقه العربية ٢٩٠
(4) المزهر في علوم اللغة ١/ ٣٤٦
(5) انظر: فصول في فقه اللغة العربية ٢٩١

وقفنا على أن الاجتنان التستر، هو الذي وقفنا على أن الجن مشتق منه، وليس لنا اليوم أن نخترع، ولا أن نقول غير ما قالوه، ولا أن نقيس قياسًا لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة، وبطلان حقائقها"[1].

وجمهور العلماء العرب من أمثال الخليل وأبي عمرو بن العلاء وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر وسيبويه وأبي زيد وابن الأعرابي وأبى عمرو الشيباني وغيرهم يرون "أن بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق، فقد غالت طائفة فادعت أن "الكلم كله أصل" وأكثر منها غلوًا تلك الطائفة التي ادعت أن "الكلم كله مشتق"[2] والسؤال!! فمم اشتق إذن، إن لم يكن هناك أصول لهذا الاشتقاق المزعوم؟![3]

وقد نبه إلى هذا الاضطراب ابن السراج في أقوال العلماء وآرائهم في الاشتقاق بقوله: "هذا كتاب يوضح فيه الاشتقاق الواقع في كلام العرب، لما يعرض من الحيرة والاضطراب، لكثير من الناس فيه، فهم مختلفون، فمنهم من يقول: لا اشتقاق في اللغة ألبتة، وهم الأقل، ومنهم من يقول: بعض ذلك مشتق، وبعضه غير مشتق، وهؤلاء هم جمهور أهل اللغة"[4].

ولعل ابن دريد وهو من المغالين في القول بالاشتقاق. يقول باشتقاق الأعجمي العربي، يذكر بأن الفِرْدَوس، مشتق من: الفَرْدَسَة، وقال: والفردسة: السعة، وصدر مفردس واسع، وفيه اشتقاق الفردوس![5] وكذلك الخفاجي الذي يقول إن: السراط، مشتق من استراط الطعام، أي ابتلاعه، وقال: فالسراط حينئِذ من سرطت الطعام: أي ابتلعته، يتخيل أنه يبتلع سالكيه![6].

أما الخوارزمي فيذكر بأن: الأصطرلاب معناه: مقياس النجوم، وهو باليونانيه: أصطرلابون، وأصطر هو: النجم، ولابون: هو المرآة، ومن ذلك قيل لعلم النجوم: أصطر نوميا. وقد يهذي بعض المولعين بالاشتقاقات، في هذا الاسم بما لا يعني له، وهو أنهم

---

(1) الصاحبي ٦٧
(2) انظر: المزهر ١/ ٣٨٤
(3) انظر: فصول في فقه العربية ٢٩٤
(4) الاشتقاق، لابن السراج ٣١
(5) جمهرة اللغة ٣/ ٣٣٣
(6) شرح درة الغواص ٣٣

يزعمون أن: لاب، اسم رجل. وأصطر: جمع سطر، وهو الخط. وهذا اسم يوناني، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف[1].

أما ابن فارس فإنه يرجع أصول الاشتقاق في المادة اللغوية الواحدة إلى أصول متعددة، وقد حفل معجمه مقاييس اللغة بهذه الفكرة، التي يطلق عليها، فكرة الأصول، ومن ذلك قوله: الخاء والراء والسين، أصول ثلاثة؛ الأول: جنس من الآنية، والثاني: عدم النطق، والثالث: نوع من الطعام، فالأول: الخِرْس، بسكون الراء وهو الدنّ، ويقال لصانعه الخرّاس، والثاني: الخَرَس في اللسان، وهو ذهاب النطق، ويحمل على ذلك فيقال: سحابة خرساء، ليس فيها رعد، والثالث: الخُرْس والخُرْسة، وهو طعام يتخذ للوالد من النساء[2].

ثمة نوع آخر من الاشتقاق ذكره ابن جني يسمى **الاشتقاق الأكبر** في باب "باب في الاشتقاق الأكبر"[3] يذكر أنه هو صاحب تلقيبه، ويشرحه بقوله: "فهو أن تأخذ أصلًا من الأصول الثلاثية، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا، تجمع التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه، رُدّ بلطف الصنعة والتأويل له"[4].

ومن أمثلة هذا النوع من **الاشتقاق الأكبر** ما ذكره ابن جني بقوله: "فمن ذلك تقليب: جبر، فهى أين وقعت للقوة والشدة، منها: جَبَرْت العظم والفقير، إذا قويتهما وشددت منهما، والجَبْر: الملك لقوته وتقويته غيره، ومنها: رجل مجرب إذا جرَّسته الأمور ونجّذته، فقويت مُنَّته واشتدت شكيمته، ومنه الجراب؛ لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي، اشتد وقوى، وإذا أغفل وأهمل، تساقط ورَذِيَ. ومنها: الأبْجر والبُجْرة، وهو القوى السُّرة، ومنها: البُرج، لقوته في نفسه، وقوة ما يليه به، وكذلك البَرَج لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، هو قوة أمرها وأنه ليس بلون مستضعف ومنها: رجبت الرجل إذا عظمته وقويت أمره، ومنه رجب ؛ لتعظيمهم إياه عن القتال فيه،

---

(1) مفاتيح العلوم، للخوارزمي ١٣٤

(2) مقاييس اللغة ٢/ ١٦٧

(3) الخصائص: ٢/ ١٣٣- ١٣٩

(4) الخصائص ٢/ ١٣٤

وإذا كرمت النخلة على أهلها فمالت، دعموها بالرُّجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به، والراجبة أحد فصوص الأصابع، وهي مقوّية لها، ومنها: الرَّباجي، وهو الرجل يفخر بأكثر من فعله.. يعظم نفسه ويقوى أمرها[1].

٢- **التركيب:** Composition ويكون ذلك عن طريق وضع جذرين (مورفيمين حرين) جنبًا إلى جنب مثل railroad المأخوذة من الكلمتين: rail وroad، وكذلك الكلمة: breakfast المركبة من: break، و fast، وكذلك الكلمة الإيطالية: ferrovia المأخوذة من، ferroو via وهكذا يكون الناتج كلمات مركبة: Compound wards[2].

٣- **الاقتراض** borrowing من اللغات الأجنبية، وتتنوع أحوال الاقتراض من لغة إلى أخرى، فثمة لغات يمثل فيها الاقتراض نسبة عالية وكبيرة، ولغات أخرى يمثل الاقتراض نسبة ضئيلة أو قليلة. فاللغة الإنجليزية على سبيل المثال يمثل الاقتراض في مفرداتها من الكلمات الأنجلو سكسونية أقل من نسبة ٢٥٪، في حين يمثل الاقتراض من اللغات الإسكندنافية، بواسطة الدنيمركية والفرنسية (عن طريق النورمانديين) وعن طريق اللاتينية واليونانية (التي تسربت إلى اللسان الأنجلو سكسوني طوال عصورها) تمثل حوالي ٧٥٪ كما اقترضت أيضًا اللغة الإنجليزية من لغات أخرى كثيرة أوربية وأسيوية وإفريقية وهندية وأمريكية، وغيرها من اللغات التي اتصل بها الإنجليز على مدار عصورهم وامبراطوريتهم الواسعة[3].

وإن دراسة في تاريخ اللغة العربية ولهجاتها المختلفة تؤكد أن ثراء هذه اللغة يعود إلى أرومتها وأصولها السامية، التي انبثقت منها، وأن الكثرة الكثيرة من مفرداتها وألفاظها، وتراكيبها وعباراتها، ودلالاتها، إنما تستمد خصائصها وسماتها من اللغة السامية الأم، بل إنها تمثلها وتشتمل على معظمها. لكن الاقتراض أو الاستعارة من اللغات المجاورة، كان –أيضا– أحد عوامل ثرائها وغنى ألفاظها ومفرداتها. فقد اقترضت اللغة العربية ولهجاتها القديمة كثيرًا من الألفاظ، التي اعتنى بها العلماء

---

(١) الخصائص ٢/ ١٣٥
(٢) انظر: أسس علم اللغة ١٥٦
(٣) انظر: أسس علم اللغة ١٥٦– ١٥٧

العرب وقاموا بدراستها تحت عناوين المعرب والدخيل والألفاظ الأعجمية، سواء أكانت فارسية أم يونانية أم رومية أم قبطية أم نبطية أم آرامية أم حميرية أم حبشية أم غيرها من اللغات السامية. وتشيع هذه الألفاظ والمفردات في التراث اللغوي العربي شعرًا ونثرًا، كما اشتمل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على أمثلة منها. وكذا الحال في لهجات الخطاب الحديثة والقديمة.

إن الجهود التي بذلها الفلاسفة، التي تركزت حول أصل اللغات ونشأتها تعد بحق بداية التفكير في علم اللغة التاريخي، وفي حين كانت جهود النحويين القدامى من الصينيين والهنود والإغريق، وما يتعلق بها من أحكام وتصورات وكتيبات تتعلق بالإرشاد للرحالة والمسافرين، تعدَّ من قبيل علم اللغة الوصفي، فإن تفكير الفلاسفة والعلماء حول أصل اللغات وتطورها، والمحاولات الأولى لتصنيف اللغات إلى عائلات، ولانكاد نجزم بمدى دقة هذه الدراسات أو بمنهجيتها في تلك العصور السحيقة، ولكنها تعد من قبيل علم اللغة التاريخي.

لقد تبوأ علم اللغة التاريخي المكانة العلمية والمنهجية في دراسات اللغات الإنسانية في نهاية القرن الثامن عشر، وتقدمت بحوثه خلال تلك الفترة وما يعقبها بسرعة كبيرة، حيث توجهت همم علمائه نحو فحص نمو اللغة وتطورها على أساس وثائقي من خلال الوثائق والمدونات التاريخية بدلِا من النظريات والأسس، التي ربما تعم اللغات بأسرها.

إن المنهجين الدراسيين في علم اللغة التاريخي، وهما: علم اللغة المقارن، ومنهج إعادة تركيب اللغة قد أسسا كلية على ما وجد من وثائق مكتوبة، وإنه من حيث طبيعة البحث والدراسة، فإن علم اللغة التاريخي، يعتمد أساسًا على تلك المادة المكتوبة، بذات القدر التي يعتمد فيها علم اللغة الوصفي على المادة اللغوية المنطوقة[1].

---

(1) انظر: أسس علم اللغة ١٦٤